

التطرف في خدمة الثورة: إيران وحزب الله والشيعة في أوروبا



تقرير رقم 19- ديسمبر 2020

عين أوروبية على التطرف

داني سيترينوفيتش*

مقدمة

في الآونة الأخيرة، وفي أعقاب الهجمات الإرهابية الإسلامية في فرنسا والنمسا، تحول الخطاب في أوروبا بشكل متنامٍ إلى طرح سؤال رئيسي حول ما الذي يمكن فعله لمراقبة وكبح أولئك الذين يحرّضون على مثل هذه الهجمات من خلال إرساء الأساس الأيديولوجي لها¹. وبما أن هذه الهجمات نفذها تنظيم "داعش"، فقد انصبَّ معظم التركيز على تلك المراكز الدينية والمساجد السننية التي ساعدت الإرهابيين بشكل مباشر أو غير مباشر.

رغم كل هذه التساؤلات والجهود، فإن النقاش الذي يجري حاليًا في جميع أنحاء القارة الأوروبية يغفل جانبًا رئيسًا من التحدي الإسلامي من خلال التركيز حصراً على عنصره السني، وتجاهل المؤسسات التي أنشأتها الحكومة الثورية الإيرانية في جميع أنحاء أوروبا، والتي لا يقل خطرها مطلقاً عن العنصر السني، والتي تسمح لهم بالتأثير العميق على السكان المسلمين الشيعة في القارة، فضلاً عن التقرب إلى السنة الساخطين، وحتى غير المسلمين الأوروبيين الذين ينجذبون إلى لغة التطرف المعادي للغرب ومواقفه.

من الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى أن الأنشطة الإجرامية للحكومة الدينية الإيرانية، وحزب الله؛ فرعها في جميع أنحاء أوروبا، ليست جديدة. بعض هذه الأنشطة يعتبر من قبيل الجرائم العادية، من الاتجار في المواد المهربة مثل الأسلحة والمخدرات². وهناك أعمال إرهابية أخرى، سواء كانت اغتيالات للمعارضين أو تفجيرات، مثل تلك التي وقعت في بوجاس، في بلغاريا، عام 2012³. ويؤكد مسؤولون بالاستخبارات أن عناصر من حزب الله موجودون في عشرات الدول الأوروبية، بما في ذلك بلجيكا والبوسنة وبريطانيا وبلغاريا وكرواتيا وقبرص والدنمارك وفرنسا وألمانيا واليونان وإيطاليا وليتوانيا والنرويج ورومانيا وروسيا وسلوفينيا وإسبانيا والسويد وسويسرا وتركيا وأوكرانيا⁴.

الجدير بالذكر أن البنية التحتية للتطرف الإيراني في أوروبا قد بُنيت على مدى عقود عديدة. ويعتزم رجال الدين الثوريون الذين يحكمون إيران تحويل السكان الشيعة في أوروبا إلى تبني نسختهم من المذهب الشيعي، المعروف باسم "الخمينية"، نسبة إلى مؤسس جمهورية إيران الإسلامية؛ آية الله روح الله الخميني. والغرض من تحويل السكان الشيعة في أوروبا إلى "الخمينية" هو أنه يمكن بعد ذلك استغلالهم بثلاث طرق على الأقل. إذ يمكن استخدام السكان الشيعة الموالين لإيران في أوروبا لممارسة الضغط السياسي على الحكومات الأوروبية، من خلال إساءة استخدام العمليات الديمقراطية المتاحة. ويمكن استخدام هذه الشعوب لحشد الدعم، سواء في صورة الأموال أو المجندين، لحزب الله وغيره من أذرع الثورة الإيرانية. وأخيراً، يمكن استخدام السكان الشيعة الموالين لإيران كبنية لوجستية للأنشطة الإجرامية والإرهابية للحرس الثوري الإسلامي الإيراني وأجزاء أخرى من هيكل الدولة الإيرانية.

في السنوات الأخيرة، كشف عدد من الإجراءات التي اتخذتها الحكومات، في ألمانيا وفرنسا وأماكن أخرى، وتسريب بعض هذه المواد الاستخباراتية، بالإضافة إلى أبحاث مستقلة متعمقة حول وسائل التواصل الاجتماعي وجوانب أخرى من النشاط الإسلامي في جميع أنحاء القارة، عن بعض الآليات التي يستخدمها النظام الإيراني في نشر عقيدته في أوروبا.



آليات مختلفة في خدمة الثورة

يُظهر تحليلٌ لأنشطة إيران في أوروبا أن العديدَ من مراكز الثقل توجّه حركتها الأيديولوجية عبر القارة:

- قسم العلاقات الخارجية

إلى جانب عملائه الأجانب السريين، يحافظ حزب الله على وجود دولي أكثر علانية من خلال قسم العلاقات الخارجية الذي لديه ممثلون في مؤسسات في جميع أنحاء العالم. يعمل قسم العلاقات الخارجية بشكل علني في لبنان وبطريقة شبه علنية في الخارج. وبعض أفراد هذا القسم من اللبنانيين الذين يتم إرسالهم إلى الخارج، بينما هناك آخرون من أنصار حزب الله الذين يعيشون بالفعل في الدول المعنية. ولدى معظمهم علاقات وثيقة مع كبار المسؤولين في الحزب، وحصل العديد منهم على تدريباتٍ عسكرية مهمة.

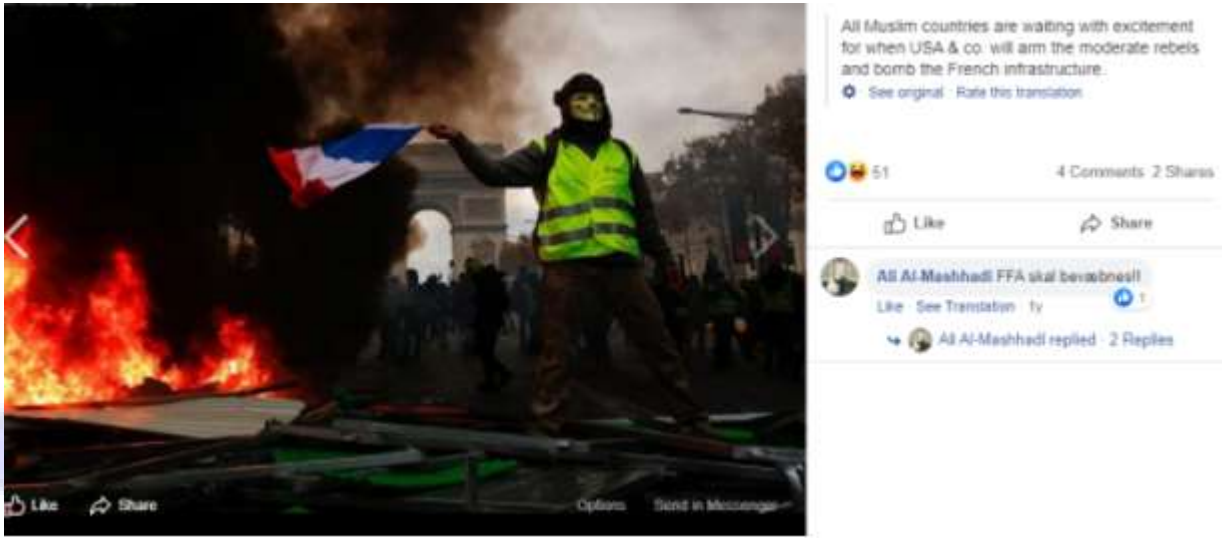
وفيما يتعلق بالأنشطة "الدبلوماسية" العلنية، يؤدي أفراد قسم العلاقات الخارجية مهام عدة في الخارج. فيؤسسون "مراكز مجتمعية" لتشجيع دعم الشيعة المحليين لحزب الله، ويشكلون قاعدة لأنشطة الحزب، ويجمعون الأموال ويحددون المجندين المحتملين، ويعملون كضباط اتصال، حيث يحافظون على التواصل بين المؤيدين المحليين وقادة حزب الله في لبنان، وكذلك بين عناصر حزب الله في مختلف الدول⁴. كما أن لدى قسم العلاقات الخارجية ممثلين خاصين ينسقون نشاط الجاليات في هذه الدول.

- جامعة المصطفى

جامعة المصطفى من أهم المؤسسات وأكثرها تأثيراً في تلقين مبادئ الخمينية. وقد تأسست الجامعة في عام 2007 من قبل المرشد الأعلى الحالي في إيران؛ آية الله علي خامنئي، الذي يدير أنشطتها وهو أعلى سلطة فيها. في عام 2016، خصصت إيران 74 مليون دولار للجامعة، التي تحصل على المزيد من التمويل من مكتب المرشد الأعلى ومن إمبراطوريته التجارية الواسعة وشبكاته "الخيرية". وتدرّب الجامعة رجال الدين من جميع أنحاء العالم على نشر الخمينية في بلدانهم الأصلية. ولديها العديد من الفروع في أوروبا، أبرزها الكلية الإسلامية في لندن. وقد انتقل خريجو الجامعة؛ مثل رجل الدين الإيطالي عباس دي بالما، لتأسيس مراكز ثقافية إيرانية في بلدانهم، وخاصة مركز الإمام المهدي في روما.

وقد حصل أعداد كبيرة من رجال الدين الشيعة في أوروبا على تعليمهم في جامعة المصطفى، حيث يصبح رجال الدين هؤلاء هم المسؤولون عن إرسال شباب شيعة من أوروبا للدراسة في إيران أو في مراكزها الجامعية في جميع أنحاء أوروبا⁵.

صورة على حساب التواصل الاجتماعي الخاص بخريج من جامعة المصطفى في أوروبا



- المجمع العالمي لأهل البيت

المجمع العالمي لأهل البيت؛ هو منظمة غير حكومية إيرانية نشطة دوليًا، تعمل كهيكل جامع لشبكة من المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية المدعومة من إيران والمكلفة بنشر الحمينية في جميع أنحاء العالم. ويعتبر هذا المجمع من الناحية الوظيفية حلقة الوصل بين المؤسسة الدينية الشيعية الإيرانية، ورجال الدين الشيعة الأجانب، كما أنه يربط المجتمعات الشيعية في جميع أنحاء العالم ببعضها البعض. ويقوم المجمع بدور إداري، حيث ينسق العلاقات مع الفروع المحلية والمنظمات الدينية والثقافية المنتسبة في جميع أنحاء العالم. تعمل العديد من المنظمات المحلية الواردة في هذا التقرير، مثل "المركز الإسلامي في هامبورج" و"بعثة أهل البيت الإسلامية العالمية في بريطانيا"، تحت رعاية الجمعية، وتتلقى الدعم المادي والتخطيط من المنظمة الأم.

ويساعد المجمع على ترتيب ندوات ومؤتمرات مؤيدة لإيران؛ ويرعى الناشطين الدينيين والدعاة الشيعة للتحدث في المناسبات؛ ويضطلع بمساعٍ خيرية في الفروع المحلية في جميع أنحاء العالم. كما تلعب العديد من المنظمات التابعة له أدوارًا قيادية في تنظيم احتفالات سنوية بيوم القدس في مناطقها⁷. ترتبط العديد من مراكز أهل البيت في أوروبا ارتباطًا قويًا بقسم العلاقات الخارجية التابع لحزب الله، وبجامعة المصطفى.

- رجال الدين الثوريين والمراكز الدينية

توجد في جميع أنحاء أوروبا مراكزٌ شيعية ويوجد رجال دين شيعة مستقلين ظاهريًا، ولكن توجد لديهم في الواقع صلات قوية مع قسم العلاقات الخارجية وجامعة المصطفى، ويتلقون توجيهات من إيران بشأن رسائلهم وخطبهم، ومهاجمة أعداء النظام الإيراني خطابيًا، والأخطر من ذلك، أنها تعمل كمراكز لنشاط الحرس الثوري/حزب الله. ولا يقتصر هذا النشاط على جمع الأموال، والتحريض ضد إسرائيل وأمريكا، بل كما هو معروف الآن، فإنه يشمل تخزين الأسلحة⁸.

يشير تحليل ملفات التواصل الاجتماعي التي تستخدمها هذه الكيانات المختلفة بوضوح إلى الصلة القوية فيما بينها، فهي بنية شاملة، تعمل على تحقيق أهداف إيران. إن اجتماعات أفراد قسم العلاقات الخارجية مع رجال الدين ووجود أفراد من هذا القسم في المراكز ذات الصلة توفر نسيجًا مترابطًا داخل بيئة تمكّن من ممارسة نشاطٍ متطرف في أوروبا.

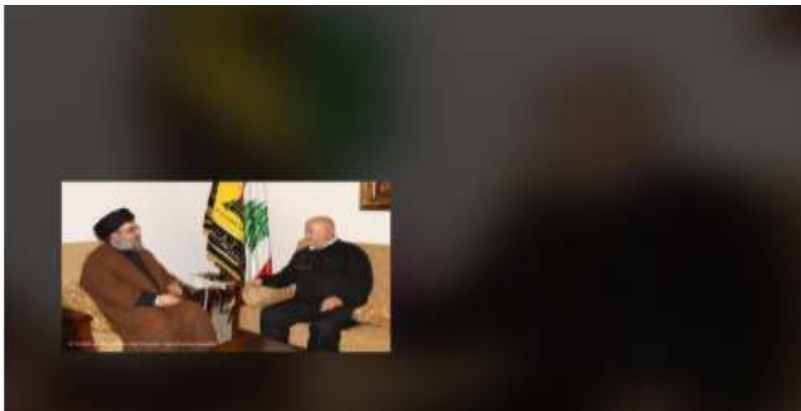
بنية التطرف الإيرانية داخل أوروبا

- فرنسا: مركز الزهراء

تأسس مركز الزهراء في عام 2005 على يد يحيى قواسمي، وكان هدفه المعلن رسمياً هو "نشر كلمة الإسلام من خلال رؤية النبي وآل بيته". وكان قواسمي أيضاً أحد مؤسسي "حزب مناهضة الصهيونية"، بقيادة الممثل الكوميدي سيئ السمعة المناهض للسامية ديودوني مبالا، والناشط اليميني البديل آلان سورال. مركز الزهراء قريب من إيران على مستويات عديدة: أيديولوجياً ولوجستياً وحتى مالياً. في عام 2018، اقتحمت الشرطة مركز الزهراء واعتقلت بعضاً من قاداته. وحلّت الحكومة مركز الزهراء لاحقاً لأسبابٍ عدّة؛ هي: شرعنة الجهاد، وخطاب الكراهية، ودعم إرهابيي حماس وحزب الله.

في أعقاب الهجوم الذي استهدف مجلة شارلي إيبدو عام 2015، أدان قواسمي "المسؤولية الصهيونية في هذا الهجوم" وأعلن أيضاً أن داعش هو "مشروع نازي واشتراكي وصهيوني". وفي مقاطع فيديو حديثة، انتقد قواسمي الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وحكومته بزعم مضايقة الأقلية المسلمة. ولم يعرب عن أي نوع من التضامن مع ضحايا الهجمات الإرهابية الإسلامية الأخيرة في فرنسا⁹.

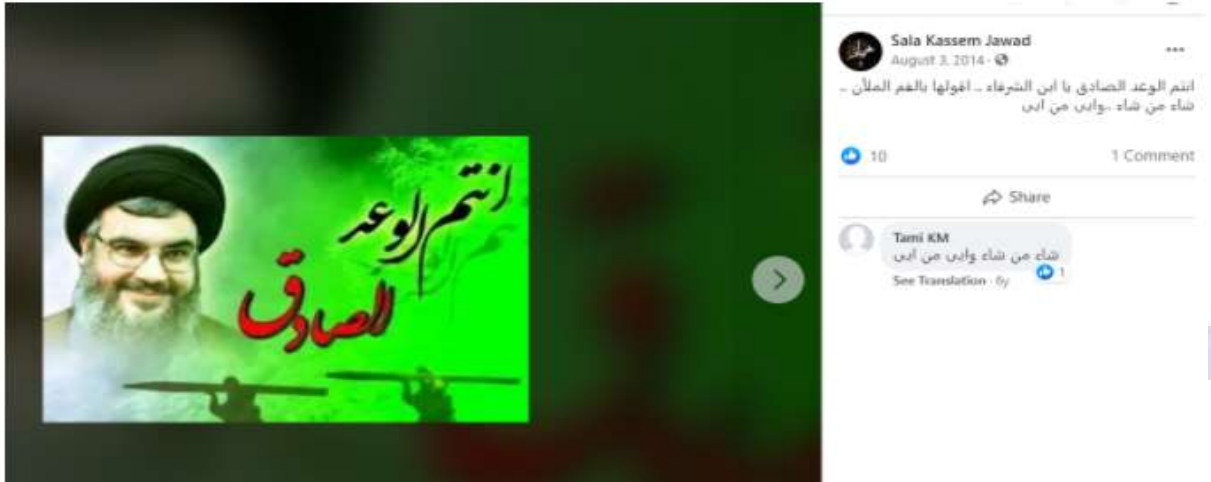
لقاء بين قواسمي والأمين العام لحزب الله حسن نصر الله



- ألمانيا: مركز الإمام المهدي في مونستر

وثق تقريرٌ للاستخبارات الألمانية أنه "منذ أكثر من 20 عامًا، كان المركز الإسلامي (مركز الإمام المهدي) في مونستر منبرًا ومكانًا لاجتماع أنصار حزب الله في شمال الراين وستفاليا وغرب ألمانيا. نقاط التنسيق الأخرى: إيسن/بوتروب، ودورتموند وباد أوينهاوسن¹⁰.

شخصية بارزة في مركز الإمام المهدي في مونستر مبديا إعجابه بنصر الله



هناك أمثلة كثيرة على جهود التطرف داخل المركز، مثل تلك التي جرّت في 25 ديسمبر 2018: تم تحميل مقطع فيديو لحفل أقيم في مركز مسجد الإمام المهدي الشيعي في مونستر على صفحة المسجد على فيسبوك. ألقى رجل قصيدة، جاء فيها:

"يا مهدي، [قلوبنا و] سيوفنا معك. ... [مصير] أطفالنا، ونسائنا، ورجالنا [أمام] عتبتك. ... بدمائهم سقي تراب اليمن في المواجهة مع الصهاينة والتكفيريين. ... وفي سوريا والعراق، كتبنا بالدم أن النصر آت ... [نحن نسعى] للشهادة في يوم المجد ... الموت في سبيل قضيتك طريقنا للجنة ... بايعنا الولي الفقيه [خامنئي]. نحن جنود

مستعدون للتضحية بحياتنا من أجل نصر الله. نحن ننتمي إلى حزب [الخميني]... اتهمونا بأننا إرهابيون، نحن فخورون بالإرهاب... نحن الشيعة ولن نموت إلا أحراراً"¹¹.

- مركز الغدير

على الرغم من أن الجمعيات الثقافية اللبنانية في ساحل العاج تنفي إلى حد كبير أيّ ارتباط لها مع حزب الله، فإنه يُعتقد على نطاقٍ واسع أن جمعية الغدير؛ أكبر مجموعة من هذا القبيل، تمثل حزب الله في الدولة. في أغسطس 2009، تم ترحيل زعيم مركز الغدير آنذاك، الإمام عبد المنعم قبيسي¹²، بعد أن فرضت عليه الحكومة الأمريكية عقوبات لقيامه بجمع الأموال لمصلحة حزب الله¹³. وفي هذا الصدد، يقدم تحليل حديث لوسائل التواصل الاجتماعي مؤشرات قوية على وجود صلة بين المراكز الدينية الموالية لحزب الله في ألمانيا وفرنسا وبلجيكا ومركز الغدير.

- بلال محسن وهي

بلال محسن وهي الذي صنّفته الولايات المتحدة في قائمة الإرهابيين في أمريكا الجنوبية، هو الممثل الرئيسي لحزب الله وهو الدور الذي يُزعم أنه اضطلع به بناءً على طلب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله. يضطلع وهي بنقل المعلومات والتعليمات بين قيادة الحزب في لبنان، وعناصره في أمريكا الجنوبية.

بالإضافة إلى ذلك، قام وهي بدور جامع التبرعات لحزب الله، ونقل الأموال من البرازيل إلى الجماعة الإرهابية في لبنان. ويشرف على أنشطة مكافحة التجسس الخاصة بالحزب في منطقة الحدود الثلاثية في الأرجنتين والبرازيل وباراجواي. وحتى أواخر عام 2017، كان يواصل عمله بحرية في البرازيل، حيث كان لا يزال زعيمًا ثقافيًا إسلاميًا بارزًا. وفي 9 ديسمبر 2010، صنّفت وزارة الخزانة الأمريكية وهي ضمن قائمة الإرهابي المحددين بشكل خاص على مستوى العالم¹⁴. من الواضح أن المراكز الدينية الشيعية في أوروبا مرتبطة بوهي، وبالتالي بتعليماته الخمينية.

الخلاصة

على الرغم من أن حزب الله يتخذ من لبنان مقرًا له، إلا إنه لا يمثل مشكلة بالنسبة للشعب اللبناني فحسب، كما إنه ليس في الحقيقة نتاجًا للبنانيين، حتى لو كان أفراده لبنانيين. فلقد نشأ حزب الله قبل الثورة الإسلامية في إيران، التي يشكل جزءًا عضويًا منها¹⁵. وسواء كانت خلايا الإرهابية في قبرص، أو هجماته الإرهابية في بلغاريا، أو تهريبه للمخدرات في ألمانيا وفرنسا، فإن حزب الله يتصرف كرأس الحربة لإيران، وهذه تمثل مشكلة لأوروبا بأسرها.

تحاول إيران، التي غالبًا ما تعمل من خلال حزب الله/الحرس الثوري الإسلامي، تحويل الشيعة في جميع أنحاء أوروبا للتطرف، وحشد موالين أيديولوجيين، من أجل بناء بنية تحتية تجمع الأموال لتمويل الأنشطة، وتنفيذ الأعمال الإرهابية، وتجنيد الإرهابيين في المستقبل.

لقد خلقت العقوبات التي فرضتها حملة "الضغط الأقصى" التي مارسها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على إيران ضغطًا كافيًا أدى إلى تقليص ميزانية حزب الله. ومن أجل تعويض هذا النقص تحوّل حزب الله إلى جملة من الأمور منها حشد الموارد من المجتمعات الشيعية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أوروبا. وهكذا، فإن حملات جمع التبرعات "البريئة" و"الإنسانية" ظاهريًا تقودها المراكز الدينية الموالية لإيران، على سبيل المثال لمساعدة ضحايا الحرب في سوريا أو اليمن، ثم يتم توجيه هذه الأموال إلى الجهاز الإرهابي الإيراني.

وإذا تحددت أوروبا البنية الأساسية للتطرف الإيراني في مختلف أنحاء القارة، فإنها لن تساعد نفسها فحسب؛ بل إن ذلك أيضاً، نظراً لاعتماد حزب الله المتزايد على الأنشطة الخارجية، سيعطي دفعة قوية لأولئك الذين يناضلون في لبنان للإطاحة بهيمنة حزب الله على الدولة، وبشكل عام إزالة العناصر الطائفية الفاسدة.

ما من شك أن هذا لن يكون جهداً سهلاً بسبب طبيعة شبكات حزب الله في الخارج وتعقيدها. ذلك أن شبكات حزب الله مصممة بحيث تستطيع الصمود أمام احتمالية كشف و/أو تدمير جزء من الشبكة. لذا، يتعين على الاتحاد الأوروبي أن يتصرف بطريقة محسوبة وموحدة لتقويض البنية التحتية لحزب الله. ولعل نقطة الانطلاق الجيدة هي تصنيف التنظيم بأكمله كمنظمة إرهابية، بدلاً من التظاهر بوجود "جناح عسكري" و"جناح سياسي" منفصل، الذي يقول حزب الله نفسه إنه غير صحيح. وهناك أيضاً حاجة إلى زيادة التركيز على التحدي الأيديولوجي الذي تشكّله الإسلاموية، والخمينية، التي يروج لها النظام الإيراني.

إن انتشار التطرف بين السكان الشيعة في أوروبا يشكّل تهديداً للتماسك الاجتماعي، وبالتالي ديمومة النسيج الديمقراطي الكامل للقارة. علاوةً على ذلك، تمثل البنية التحتية الإيرانية للتلقين الديني المتطرف سلسلةً من التحديات الأمنية للاتحاد الأوروبي، من الإرهاب إلى التجسس. كما أن قطع الروابط بين المؤسسات الإيرانية، والمراكز الشيعية في أوروبا، وبدء عمليات لإعادة تأهيل المتطرفين المتضررين بالفعل، أمرٌ حيوي لاستقرار القارة.



المراجع:

* باحث أول في معهد آبا إيبان للدبلوماسية الدولية في إسرائيل

1. Lorenzo Vidino, 'Austria, Not France, Is the Model for Europe's Crackdown on Islamists', *Foreign Policy*, 11 November 2020,

<https://foreignpolicy.com/2020/11/11/austria-not-france-is-the-model-for-europes-crackdown-on-islamists/>

2. Josh Meyer, 'The secret backstory of how Obama let Hezbollah off the hook', *Politico*, 17 December 2017,

<https://www.politico.com/interactives/2017/obama-hezbollah-drug-trafficking-investigation/>

3. Paul Peachey, 'Revealed: \$100m hunt for Hezbollah funds after Bulgarian bus bombing', *The National*, 15 December 2020,

<https://www.thenationalnews.com/world/europe/revealed-100m-hunt-for-hezbollah-funds-after-bulgarian-bus-bombing-1.1129370>

4. Matthew Levitt, 'Islamic Extremism in Europe: Beyond al-Qaeda— Hamas and Hezbollah in Europe', *The Washington Institute*, 27 April 2005,

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/islamic-extremism-in-europe-beyond-al-qaedahamas-and-hezbollah-in-europe>

5. Matthew Levitt, 'Hezbollah's "Diplomats" Go Operational', *The Washington Institute*, 2 December 2016,

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/hezbollahs-diplomats-go-operational>

6. How Iran exports its Ideology: Al-Mustafa International University', *United Against Nuclear Iran*,

- <https://www.unitedagainstnucleariran.com/ideological-expansion/al-mustafa-international-university>
How Iran exports its Ideology: Ahlul Bayt World Assembly’, *United Against Nuclear Iran*, .7
<https://www.unitedagainstnucleariran.com/ideological-expansion/ahlul-bayt-world-assembly>
- Ben Riley-Smith, ‘Iran-linked terrorists caught stockpiling explosives in north-west London’, *Telegraph*, 9 June 2019, .8
<https://www.telegraph.co.uk/news/2019/06/09/iran-linked-terrorists-caught-stockpiling-explosives-north-west/>
- Allan Kaval, ‘Le Centre Zahra: entre influence iranienne et mouvance conspirationniste française’, *Le Monde*, 2 October 2018, .9
https://www.lemonde.fr/societe/article/2018/10/02/le-centre-zahra-entre-influence-iranienne-et-mouvance-conspirationniste-francaise_5363517_3224.html
- Benjamin Weinthal, ‘German Hezbollah mosque: We’re proud of terrorism’, *The Jerusalem Post*, 30 August 2019, .10
<https://www.jpost.com/middle-east/german-hezbollah-mosque-declares-it-is-proud-of-terrorism-and-pro-khamenei-599998>
- ‘Poem Recited in a Münster, Germany Shiite Mosque: We Have Pledged Allegiance to Khamenei; We Are Accused of Terrorism and Are Proud of It’, *Middle East Media Research Institute* (MEMRI), 25 December 2018, .11
<https://www.memri.org/tv/ceremony-imam-mahdi-center-munster-germany-shiite-khamenei-nasrallah-jihad-martyrdom>

- ‘Abd al-Menhem Qubaysi’, *Counter Extremism Project*, .12
<https://www.counterextremism.com/extremists/abd-al-menhem-qubaysi>
- ‘Côte d'Ivoire: Extremism & Counter-Extremism’, *Counter Extremism Project*, .13
<https://www.counterextremism.com/countries/cote-d-ivoire>
- Bilal Mohsen Wehbe’, *Counter Extremism Project*, .14
<https://www.counterextremism.com/extremists/bilal-mohsen-wehbe>
- Kyle Orton, ‘The Middle East After Qassem Sulaymani’, .15
European Eye on Radicalization, 6 January 2020,
<https://eeradicalization.com/the-middle-east-after-qassem-sulaymani/>

